خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٦ جمادى الأولى ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن أمور المسلم تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أموره الدنيوية التي لا يغلب على الظن أنه يَعقُبُها مفاسد.

وهذه الأمور -يا عباد الله- الأحسن للمسلم أن يتأنّى فيها، فيكون فيها بين التواني والعجلة، فيكون مُتأنّيًا، لا متأخّرًا حتى تفوت مصالحها، ولا متعجّلاً عجلةً تُوقِعُه في الندامة.

وذلك -يا عباد الله- كالبيع والشراء ونحو ذلك من أمور المسلم الدنيويّة التي لا يغلب على الظن أن يعقبها المفاسد.

قال رسول الله ﷺ لِأَشجّ عبد قيس: «إن فيك خصلتين يحبّهما الله، الحِلم والأناة».

وقال رسول الله ﷺ: «التأني من الله، والعجلة من الشيطان».

وأما القسم الثاني -يا عباد الله- من أمور المسلم: فهي أموره الدنيوية التي يغلب على الظن أن تترتّب عليها مفساد، فهذه -يا عباد الله- يُشرَع للمسلم أن يتأنّى فيها، وأن يتدبّر في عواقبها، وأن يتفكّر في مصالحها ومفاسدها، وألا ينطلق فيها إلا بعد أن يزن المصالح والمفاسد.

وأضرب لكم لهذا مثلاً يا عباد الله: مسألة الطلاق، فإنّ الطلاق من أمور المسلم الدنيوية التي لا يتقرّب بها إلى الله ﷻ، والمشروع للمؤمن في الطلاق أن يتأنّى وألا يعجل.

ولذا -يا عباد الله- شُرِعَ للمسلم إذا أراد الطلاق أن يُطلّق المرأة في طُهرٍ لم يُجامعها فيه، وذلك ليتأنّى في الطلاق، فإن المرأة قد تكون حائضًا عندما يريد الطلاق، فلا يجوز له أن يُطلّقها وهي حائض، فيتأنّى حتى تُصبِح طاهرًا، فيطلّقها عند ذاك إذا عزم على هذا، وقد تكون المرأة عندما يريد الرجل أن يطلّقها في طُهرٍ قد جامعها فيه، فلا يجوز له شرعًا أن يطلّقها وهي في هذا الطُهر، بل الواجب عليه أن يُمسِك عن طلاقها حتى تخرج من هذا الطُّهر فتحيض، ثم تخرج من الحيض فتدخل في طُهرٍ لم يجامعها فيه، فعند ذاك يطلّقها إن عزم على الطلاق.

ألا ترون الحكمة في هذا الأمر يا عباد الله؟ إنّ الحكمة هي التأنّي في هذا الأمر، وألا يعجل الرجل في أمر الطلاق، لأنّ الطلاق قد تترتّب عليه مفاسد كثيرة.

وهكذا -يا عباد الله- يكون حال المؤمن في جميع أموره الدنيويّة التي قد تترتّب عليها مفاسد، يتأنّى ولا يعجل.

وأمّا القسم الثالث من أمور المسلم يا عباد الله: فهي الأمور التي يتقرّب بها إلى الله ﷻ، الأمور التي يَعبُدُ اللهَ ﷻ بها، وهذا القسم يُشرع للمؤمن أن يسارع به، وأن يعجل به، وألا يتأنّى فيه، وألا يؤخّره.

يقول ربنا ﷻ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد:٢١].

ويقول ربنا ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال نبينا ﷺ: «التُّؤَدة في كلّ شيء إلا في عمل الآخرة»، أي أن التأني والتؤدة في كلّ شيء خير إلا في أمور الآخرة التي يَتقرّبُ بها العبد إلى الله ﷻ.

وإنّ من الأمور التي شُرِع لنا أن نُبكّر بها، وأن نسارع إليها يا عباد الله: الذهاب إلى الصلاة.

وإن الذهاب إلى الصلاة -يا بعاد الله- فيه فضيلة عُظمى، وكُلّما بكّر الإنسان اجتنى من هذه الفضيلة أغلى ما فيها، يقول النبي ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا

عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العَتَمَةِ والصُّبح، لأتَوهُما ولو حَبْوًا».

«ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه» : والمراد بالتهجير هنا -يا عباد الله- التبكير إلى الصلاة، التبكير إلى أيّ صلاة، فلو أنّكم -يا معاشر المؤمنين- علمتم ما أعدّه الله ﷻ من أجر لمن بكّر إلى الصلاة لاستبقتم إلى هذا، وجعلتم هذا مَيدان سباقٍ بينكم.

التبكير إلى الصلاة -يا عباد الله- دأب الصالحين وشأن المؤمنين، فعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة ﵂: ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت: كان يكون في مِهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج.

الله أكبر يا عباد الله! كان النبي ﷺ يكون في بيته، في مِهنة أهله، يَخيط ثوبه، ويُصلح نعله، ويحلِب شاته، ويُقرّب دلْوَه، فإذا سمع الأذان كان كأنّه لا يعرف أهله، اشتغل بالصلاة حتى يخرج إليها.

ويقول سعيد بن المسيّب ﵀ ﵎: ما أذَّن المؤذّن بمسجد النبي ﷺ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

وقال ﵀: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت في قَفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة.

وقال ربيعة بن يزيد ﵀ ﵎: ما أذّن المؤذّن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد، إلا أن أكون مريضًا أو مُسافرًا.

وقال يحيى بن معين عن يحيى بن سعيد: إنه لم يَفُتْهُ الزوال في المسجد أربعين سنة.

وإن التأخر عن الذهاب إلى الصلاة -يا عباد الله- قد يقود المرء إلى ترك الذهاب للمسجد بالكلّية، وهو علامة على ضعف الإيمان والكسل في العبادة.

فعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخُّرًا، فقال لهم: «تقدّموا فَأْتَمُّوا بي، ولْيَأْتَمَّ بكم مَن بعدكم، ولا يزال قومٌ يتأخّرون حتى يؤخّرهم الله».

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال قوم يتأخّرون عن الصف الأول حتى يؤخّرهم الله».

قال العلماء: والمعنى أنه لا يزال قوم يتأخّرون في الذهاب إلى الصلاة حتى يعتاد أحدهم التأخّر، فيتأخّر عن بداية الصلاة، ثم قد يتأخّر عن الصلاة بالكلية فيتأخّر بذلك، ويؤخّره الله ﷻ في النار.

وإن التأخر في الذهاب إلى المسجد لَيُفَوِّت على المسلم -يا عباد الله- جُزءًا من أجر الصلاة، وذلك أنه إذا أدرك الصلاة من أوّلها مع الإمام فاته أجر الصلاة الذي يكتبه الله للجالسين في المسجد ينتظرون الصلاة، وإذا فاته شيء من الصلاة مع الإمام فاته هذا الأجر وأجر ما فاته مع الإمام، يقول النبي ﷺ: «إن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لم يَخْطُ خُطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحطّ عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبِسه، وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهمّ اغفر له، اللهمّ ارحمه، ما لم يُحدِث فيه».

فالذي يُبَكِّر إلى الصلاة -يا عباد الله- إذا دخل المسجد يُجرَى عليه أجر الصلاة منذ أن يدخل المسجد إلى أن يرجع إلى بيته، بل قبل ذلك، منذ أن يخرج من بيته إلى أن يرجع إلى بيته، كما أنّ الملائكة تصلي عليه وتدعو له، أمّا المتأخّر فإنه قد يَحرِم نفسه من هذا الأجر العظيم.

وفي التأخر عن الذهاب إلى المسجد عند الصلاة فوات الصف الأول، فتفوت المتأخّرَ فضيلةُ الصف الأول، وتفوته الخيريّة التي جعلها الله ﷻ في الصف الأول، قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أوّلها، وشرّها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرّها أوّلها».

كما يفوته دعاء الملائكة لأهل الصف الأول، فعن البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله وملائكته يصلون على الصف المتقدّم».

كما يفوته -يا عباد الله- استغفار النبي ﷺ لأهل الصف الأول ودعاؤه لهم، فعن العرباض بن سارية ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلي على الصف الأول ثلاثة، وعلى الصف الثاني واحدة، وفي رواية: كان يستغفر للصف المتقدم ثلاثًا، وللثاني مرة.

وفي التأخر -يا عباد الله- فوات تكبيرة الإحرام مع الإمام، فتفوت المتأخّرَ فضيلةٌ عظيمة، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى لله أربعين يومًا في جماعة يُدرِك التكبيرة الأولى كُتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

وقد كان سلفكم الصالح -يا عباد الله- يحرصون على التكبيرة الأولى، فكان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تَفُتْه التبكيرة الأولى، وقال ابن سماعة: مكثت أربعين سنة لم تَفُتْني التكبيرة الأولى إلا يوم ماتت أمّي.

وكان السلف يستقبحون التهاون في إدراك تكبيرة الإحرام، قال وكيع بن الجرّاح: كُنّا إذا رأينا الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى علمنا أنه لا يُفلح، وقال إبراهيم التيمي: إذا رأيتَ الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسِلْ يدَك مِنه.

عباد الله! عباد الله! إن الناظر في أحوالنا اليوم مع ذهابنا إلى صلاتنا يجد أن الغالب علينا التأخر، وأن المبكّرين منّا إلى المساجد قِلّة، ألا فلنتّق الله، ولنراجع أحوالنا، فما هي إلا دقائق قليلة، لكنّ فضلها عظيم، والبركة العائدة على فاعلها كبيرة جدًّا.

عباد الله! عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

فاللهمّ صلّ على محمد، وعلى آل محمد، وعلى أزواج محمد، وعلى أصحاب محمد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه، كما يحبّ ربنا ويرضى، الحمد لله حتى يرضى، والحمد لله عند الرضا، والحمد لله بعد الرضا، والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبي المصطفى المختار، صلّى الله عليه وسلم ما أظلم ليلٌ أو أضاء نهار، ورضي الله عن آله الأطهار وصحابته الخيار الأبرار، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

إنّ مِن الأمور التي شُرع لنا أن نُبكّر إليها وأن نسارع إليها: صلاة الجمعة، فالتبكير إلى صلاة الجمعة هو فعل الأوّابين، فعل المؤمنين، وفيه مكارم عظيمة، وأجورٌ كريمة، قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كلّ باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأوّل فالأوّل، فإذا خرج الإمام طُوِيَت الصحف».

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن اغتسل يوم الجمعة غُسْلَ الجنابة ثم راح فكأنّما قرّب بدنة، ومَن راح في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرة، ومَن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرّب كبشًا أقْرَن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنّما قرّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

فالنبي ﷺ بيّن لنا -يا عباد الله- أنّ الناس يتفاوتون في صلاتهم يوم الجمعة بِحَسَب تبكيرهم إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة.

وقال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأوّل فالأوّل، ومَثَلُ المُهَجِّر كَمَثَلِ الذي يُهدي بدنة، ثم كالذي يُهدي بقرة، ثم كالذي يُهدي كبشًا، ثم دجاجة ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طوَوا صحفهم، ويستمعون الذكر».

ألا فاتقوا الله عباد الله! أحبتي في الله، يا مَن تحضرون إلى صلاة الجمعة، إنّ فيكم خيرًا فكمِّلوه، إنّ فيكم خيرًا فكمّلوه، إنّ مجيئكم إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة يدلّ على خيرٍ فيكم، ألا فكمّلوه -عباد الله- بِحُسْنِ التبكير إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة.

واعلم -يا عبد الله- أنك كُلّما بكّرت إلى المسجد في يوم الجمعة، كُلّما زاد أجرك، وعَظُمَ فضل يوم الجمعة عليك.

وقد ذكر بعض أهل العلم أنهم أدركوا الناس إذا صلّوا الفجر يوم الجمعة اشتغلوا بغُسل يوم الجمعة، ثم هَرَعُوا إلى المسجد، واجتمعوا في المسجد يقرأون القرآن إلى أن يخرج الإمام للصلاة، ولَرُبّما ختم بعضهم القرآن في ذلك الوقت.

ألا فاتقوا الله عباد الله!

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعلني وإياكم مِمّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنَه.

اللهمّ يا ربنا، يا كريم، يا كريم، يا كريم، يا جواد، يا حيّ يا قيّوم، نسألك أن تُحيِيَ قلوبنا، اللهمّ أحيِ قلوبنا، اللهمّ أحيِ قلوبنا.

اللهمّ اجعل أيّامنا لنا لا علينا، اللهمّ اجعل أيّامنا لنا لا علينا، اللهمّ اجعل أيّامنا لنا لا علينا.

اللهمّ أطِل أعمارنا وأحسِن أعمالنا، اللهمّ أطِل أعمارنا وحسِّن أعمالنا يا رب العالمين، اللهمّ أطِل أعمارنا في طاعة، اللهمّ أطِل أعمارنا في طاعة، اللهمّ أطِل أعمارنا في طاعة.

اللهمّ ما مضى من أيّامنا اغفر لنا ذنوبنا فيه، وما يأتي من أيّامنا دُلَّنا فيه على الخير، واجعلنا من أهله يا رب العالمين.

اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا لوالدينا أجمعين.

اللهمّ يا ربنا إنا ظلمنا أنفسنا ظُلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهمّ عافنا واعفُ عنا، اللهمّ عافنا واعفُ عنا، اللهمّ عافنا واعفُ عنا.

اللهمّ إنا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة من فرائضك، اللهمّ فمَن عَلِمته مِنّا مريضًا فاشفِه يا رب العالمين، ومَن علمت له مِنّا مريضًا فاشفِه له يا رب العالمين، اللهمّ مَن علمته مِنّا مُبتلى فارفع عنه البلاء يا رب العالمين، اللهمّ مَن علمته مِنّا مهمومًا ففرِّج عنه يا رب العالمين، اللهمّ مَن علمته مِنّا مَدِينًا فاقضِ دينه يا رب العالمين، اللهمّ مَن علمته منّا مُضَيَّقًا عليه في رزقه اللهمّ فأغنِه ووَسِّع عليه في رزقه يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا يا كريم، مُنَّ علينا بجودك وإحسانك وارحمنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا أجمعين.

اللهمّ أنزل البركة علينا، اللهمّ أنزل البركة علينا، اللهمّ أنزل البركة علينا.

اللهمّ وفِّقنا لما تحب وترضى، اللهمّ وفِّق وليّ أمرنا لما تحبّ وترضى، اللهمّ اجعله من عبادك الصالحين، اللهمّ اجعله من عبادك الصالحين، اللهمّ اجعله من عبادك الصالحين، اللهمّ واملأ قلبه رحمةً لِمَن كان في هذا البلد من المواطنين والمقيمين يا رب العالمين، اللهمّ اهدِه إلى خير الناس والبلاد يا رب العالمين، اللهمّ اهده إلى خير الناس والبلاد يا رب العالمين، اللهمّ يا ربنا اجعلنا من العباد الذين يحبّون وليّ أمرهم، ويحبّهم وليّ أمرهم يا رب العالمين، اللهمّ وفِّقنا لما تحبّ وترضى.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلّى الله على نبيّنا وسلم.